رسالة الصوم التي وجهها

غبطة البطريرك مار نصر الله بطرس صفير إلى اللبنانيين

٢٠٠١/٢/٨

"الى جميع اخواننا المطارنة وجميع ابناء كنيستنا، إكليروسا وعلمانيين، ايها الاخوة والابناء الاعـــزاء، الســلام والبركــة الرسولية،

منذ سنوات، وخصوصا في هذه الفترة الاخيرة، بدا لنا ان يوم الرب اخذ يفقد ما له من طابع مقدس، في اذهان الكثيرين من المؤمنين. فراحوا ينظــرون اليه نظرتهم الى يوم عادي، كسائر الايام، لا فرق بينه وبينها، ويستبيحون فيه العمل، ويفتحون المتاجر، ولو الى الظهر، ويستحلون البيع والشراء، ويروجون لما عندهم من بضاعة بمختلف وسائل الاعلام، او يقضونــه في لهو وترويح عن النفس على شاطئ بحر، او في منتجع جبلي، الى ما هنالك من سبل تسلية، من دون ان يفكروا بانه يوم خصصه الله، منذ فجر الكون، لعبادته والتأمل في مخلوقاته، واشراكها بواسطة الانسان الكائن العاقل الناطق، في تمجيـــده تعالى.

وهذا ما تنبه له قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، فأصدر في الحادي والثلاثين من ايار سنة ١٩٩٨ رسالة عنوانها "يوم الرب" شرح فيها ما يتضمنه هذا اليوم من معان سامية، وابان انه ليس هو يوم الرب وحسب، بل هو ايضا يوم المســيح، ويــوم الكنيسة، ويوم الانسان.

وهذا ما رأينا ان نوجزه لكم لتتأملوا فيه، طوال ايام الصوم المبارك، وتعملوا بوحيه، شــكرا لله علــى نعمــه وعطايــاه، وتمجيدا له على ما افاضه علينا من خيرات وبركات.

اولا: يوم الرب

في اليوم السابع استراح

يرجع يوم الرب الى بدء الخليقة. وقد جاء في مستهل الكتاب المقدس الذي روى حكاية الخلق، ان الله خلق الكون في ســتة ايام، وفي اليوم السابع استراح. "وبارك الله اليوم السابع، وقدسه، لانه فيه استراح من جميع عمله الذي خلقه". وكان ذلــك اليوم يوم سبت، اعني يوم راحة. ويشير هذا اليوم، قبل المسيح، الى اول عهد قطعه الله مع الانسان، وبعد المســيح، الــى العهد الجديد النهائي الذي قام بين الله والانسان بابنه الحبيب يسوع المسيح. ولا شك في ان من تفهم معنى يوم السبت، كمــا اراده الله، بامكانه ان يتفهم معنى يوم الاحد.

عندما يتحدث الكتاب المقدس عن خلق الله الكون، فهو لا يكتفي بالاشارة الى ما بينه وبين الكائنات من علاقة، بل انه "يلقــي ضوءا على رسالة الانسان بالنسبة الى الكون. و"عمل" الله هو نوعا ما مثل يُحتذى بالنسبة الى الانسان، الــذي ليــس هــو مدعوا فقط الى سكنى العالم، بل ايضا الى "إعمار" العالم، ليجعل من نفسه "معاونا" لله. وهذا ما ذكره المجمــع المســكوني الفاتيكاني الثاني بقوله: "إن الانسان المخلوق على صورة الله، تلقى الامر باخضاع الارض وما فيها، وبالتسلط على الكــون بالعدالة والقداسة، وفيما هو يعترف بالله خالقا كل شيء، يرد شخصه اليه تعالى، هو ومجموعة الحقائق الكونية، بحيث انــه اذا ما خضع كل شيء للإنسان تمجد اسم الله في كل الارض". وفي الواقع ان ما حصل من تقدم وتطور مذهل في العــالم على كل صعيد، وبخاصة في القرن الذي ودعناه بالامس، انما هو ثمرة عمل الانسان.

استراحة الله وقفة اعجاب امام خلقه

واذا كان عمل الله في الخلق هو قوة للانسان، فان استراحته من العمل في اليوم السابع، هي ايضا قدوة له. غير انه لا يمكن القول ان استراحة الله هي نوع من "البطالة" ان الله يعمل دائما ولا يعرف البطالة، على ما أكده السيد المسيح عينه بقوله: "إن ابي الى الآن يعمل، وانا ايضا اعمل". وراحة الله هي ملء العمل، وتعرب نوعا ما عن وقفة اعجاب امام عمله الذي رأى ان "جميع ما صنعه، فاذا هو حسن جدا". ونظرته الى عمله هي نظرة تأمل ورضى عن كل ما صنع، وخصوصا عن الانسان الذي هو قمة الخلق والكائنات. وقد خصه بمحبة فريدة، حملته على إبرام عهد معه أخذ يتكامل مع الزمن حتى ادرك تمامه مع يسوع المسيح.

والله الذي ارتاح في اليوم السابع، هو عينه الذي اخرج الشعب اليهودي من عبودية مصر، فاظهر قوته ومجده ومحبته الخاصة لشعبه. وهي محبة تشبه تلك التي تقوم بين رجل وقرينته، ويخاطب شعبه مخاطبة القرين لقرينها، على ما جاء في النبي هوشع الذي قال: "واقطع لها عهدا في ذلك اليوم مع وحش البرية، وطيور السماء، وزحّافات الارض، واكسر القوس والسيف وادوات الحرب من الارض، واجعلها تنام في أمان، واتزوجك الى الأبد. اتزوجك بالصدق والعدل والرأفة والرحمة، اتزوجك بكل امانة فتعرفين اني انا الرب".

بارك الله اليوم السابع

ادرج الله وصية الاستراحة يوم السبت في لائحة الوصايا العشر، التي هي قاعدة الاخلاق المطبوعة في قلب الانسان، وذلك لما ليوم السبت من اهمية في نظره. وهو لم يدرجه في عداد الاوامر والنواهي التي تعود ان يوجهها الى شعبه، لانه اراد بواسطته ان يؤسس لعلاقة متينة تقوم بينه وبين الانسان. واذا كان تقديس هذا اليوم يلبي حاجة الانسان الى الراحة، فيجب النظر اليه في الوقت عينه في ضوء الايمان لفهم ما له من معنى عميق يمنع مساواته ببقية الايام.

انه يوم راحة، لان الرب باركه وقدسه وفصله عما سواه من ايام ليكون يوم الرب. والله، سيد كل زمان ومكان، هو رب كل ايام الناس. واذا كان قد بارك اليوم السابع وجعله "يومه" الخاص، فقد فعل ذلك في اطار حوار المحبة القائم بينه وبين شعبه، وهو حوار لا ينتهي، بدأه الانبياء ولا يزال يقوم به القديسون والصوفيون في كل عصر ومصر.

وفي الواقع، ان على الانسان ان يعيش دائما وابدا تحت نظر الله وفي مخافته ولتمجيده. ولكن هذا الانسان يحتاج الى زمن خاص يكرسه لصلاة تتحول معها علاقته بالله حوارا يقف عليه ذاته بكاملها. فيصبح يوم الرب ذاك اليوم، الذي يرفع فيه الانسان باسمه وباسم جميع الكائنات المسلط عليها آيات الشكر والمديح والتمجيد للذي اوجدها من العدم. ويصبح لذلك يوم راحة يعترف فيه الانسان بربوبية الله عليه وعلى جميع مخلوقاته. ويوم الرب يذكر بان الكون والتاريخ هما لله، وبأن الانسان لا يستطيع ان يعاون الله في عمل الخلق في العالم، دون ان يعي هذه الحقيقة.

استذكار وتقديس

جاء في سفر الخروج: "اذكر يوم السبت وكرسه لي". وهو يوضح السبب لوجوب الاستذكار، فيقول بعد قليل في الموضع عينه: "لان الرب في ستة ايام خلق السماوات والارض، والبحر وجميع ما فيها، وفي السابع استراح. ولذلك بارك الرب يوم السبت وكرسه له" فالوصية، قبل ان تأمر بما يجب فعله، تأمر الانسان باستذكار ما فعله الله، وهو خلقه الكون الذي كلله بخلقه الانسان. وعندما يستذكر الانسان ما فعله الله، لا بد له من ان يشكره تعالى فيكرس له يوم راحة. فالانسان مدعو لا ليرتاح مثل الله، بل ليرتاح في الله بتسليمه اياه كل المخلوقات عن طريق الشكر والمديح والدالة البنوية والمحبة "الزوجية".

وواجب الشكر لله لا يعود فقط الى خلقه الكون، بل ايضا الى تحريره شعبه من عبودية المصريين، على ما جاء في سفر تثنية الاشتراع:" واذكر انك كنت عبدا في ارض مصر، فاخرجك الرب الهك، من هناك بيد قديرة، وذراع ممدودة. وهو لذلك امرك بأن تحفظ يوم السبت". فالغاية من الراحة في يوم السبت ليست فقط الانقطاع عن العمل، بل من اجل استذكار "عجائب الله والاحتفال بها". وبقدر ما يكون هذا "الاستذكار" حيّا وحافلا بتمجيد الله لمبدعاته الرائعة، يكتسب يوم الرب معناه الحقيقي، ويدخل في ما لاستراحة الله من بعد، ويشارك فيها، ويشعر بما شعر به الله عينه من فرح امام مخلوقاته بعد استراحته من عمل الخلق، عندما رأى ان كل ما صنع كان "حسنا جدا".

النقلة من السبت الى الاحد

اما المسيحيون فقد اتخذوا، بدلا من يوم السبت، يوم الاحد، الذي هو بالنسبة اليهم يوم راحة، لانه اليوم الذي قام فيه الرب يسوع من بين الاموات. وسرّ المسيح الفصحي، الذي هو قمّة تاريخ الخلاص، واستباق للآخرة ونهاية العالم، يكشف سرّ الخلق، وان ما فعله الله لشعبه في الخلق، ولدى اخراجه اياه من مصر، وجد كماله في موت المسيح وقيامته، وان كان التعبير النهائي عنه لن يتم الا في نهاية العالم، يوم يأتي المسيح بالمجد. بيوم الاحد يتحقق معنى السبت "الروحي"، على ما اكده القديس غريغوريوس الكبير بقوله:"انا نعتبر ان شخص فادينا، وربنا يسوع المسيح هو السبت الحقيقي". ولهذا فان فرح الله، يوم السبت، بخلقه، اضيف اليه فرح الرسل والتلاميذ بظهور المسيح لهم احد الفصح حاملا اليهم "عطية السلام والروح القدس". ومع سرّ الفصح المسيحي، عرف الناس والكون باجمعه الذي كان "يعاني الم المخاض"، خروجا جديدا الى رحاب حرية ابناء الله. وفي ضوء هذا السرّ، اكتمل معنى الوصية القديمة المتعلقة بيوم السبت، فاتخذ قبسا جديدا من وجه المسيح المجيد القائم من الموت. وهكذا تمت النقلة من يوم السبت الى "أول يوم بعد السبت"، ومن اليوم السابع الى اليوم الاول، فاصبح يوم الرب يوم المسيح.

ثانيا: يوم المسيح

الفصح الاسبوعي

بعد القيامة اخذ يتوطّد التقليد المسيحي المتعلق بتكريس يوم الاحد يوما للرب،. وهذا ما اكده كثير من المسؤولين الكنسيين كأمثال البابا زخيا الاول الذي عاش في اوائل القرن الخامس، والذي قال: "انا نحتفل بالاحد من اجل قيامة ربنا يسوع المسيح المجيدة، ليس فقط في الفصح، بل ايضا في كل دورة اسبوعية". وهذا دليل على ان عادة تخصيص يوم الاحد لعبادة الله التي فيها راحة المؤمنين، اصبحت عادة مألوفة منذ السنوات الاولى التي تبعت قيامة الرب. ويتحدث القديس باسليوس عن "الاحد المقدس، المشرف بقيامة الرب، باكورة جميع الايام" ويدعو القديس اغوسطينوس الاحد" سرّ الفصح او علامته". وقد شددّت جميع الكنائس، شرقا وغربا، على الرباط الوثيق القائم بين الاحد وقيامة الرب. وفي تقليد الكنائس الشرقية ان كل احد هو يوم القيامة، ومن اجل هذا الطابع، فهو محور كل العبادة.

وفي ضوء هذا التقليد غير المنقطع والشامل، نرى انه يستحيل فهم معنى يوم الاحد فهما اصيلا دون العودة الى قيامة المسيح الرب. رغم ان يوم الاحد يرقى بجذوره الى عمل الخلق، والى السرّ الكتابي مباشرة، أي سرّ استراحة الله. ويوم الاحد المسيحي يعرض كل اسبوع الحدث الفصحي الذي يجري منه الخلاص ليكون موضوع تأمل المؤمنين في حياة المسيح واستذكارها.

وبحسب الاناجيل، تمت قيامة يسوع المسيح في "اليوم الاول بعد السبت". وفي ذلك اليوم ظهر المسيح القائم من الموت لاثنين من تلاميذه على طريق عمّاوس، وظهر للرسل الاحد عشر. وبعد ثمانية أيام، كان التلاميذ مجتمعين مجددا، عندما

ظهر لهم ودعا توما الى التعرف اليه بأن أراه علامات آلامه. وكان يوم العنصرة يوم أحد، وهو أول يوم من ثامن اسبوع بعد فصح اليهود، عندما تم، بحلول الروح القدس، الوعد الذي قطعه السيد المسيح للرسل بعد القيامة. وكان اليوم الذي تم فيه اعلان البشرى للمرة الاولى، وتمت العمادات الاولى: وقد أعلن بطرس على الجمهور المحتشد ان المسيح قام، وان الذين "قبلوا كلامه... اعتمدوا". وكان يوم ظهور الكنيسة كشعب يجتمع فيه في الوحدة، جميع أبناء الله المتفرقين، متجاوزين جميع الفوارق.

أول أيام الاسبوع

وعلى هذه القاعدة، منذ عهد الرسل، بدأ "أول يوم بعد السبت"، أي اول يوم من الاسبوع، يطبع نظام حياة رسل المسيح. وقد جاء في كتاب أعمال الرسل ان المؤمنين كانوا مجتمعين، في ترواس من بلاد اليونان، في "أول يوم بعد السبت لكسر الخبز"، عندما وجه بولس الرسول اليهم خطاب الوداع وصنع أعجوبة فأحيا فتى ميتا. ويشهد سفر الرؤيا على ان العادة درجت على تسمية اول يوم من الاسبوع "يوم الرب". وهذا ما تميز به المسيحيون منذ ذلك الزمن. وقد لاحظ ذلك، منذ مطلع القرن الثاني، احد أحكام بيتينيا، بلين الاصغر، الذي رأى ان المسيحيين تعودوا "ان يجتمعوا في يوم معين، قبل طلوع الشمس، وان ينشدوا في ما بينهم انشودة للمسيح كما لإله". وفي ضوء هذه النصوص، أخذ الاحتفال بيوم القيامة قيمة عقائدية ورمزية من شأنها ان تشرح كل جدة السر المسيحي.

ومنذ ذلك الحين صار التشديد على تمييز الاحد عن السبت، وخصوصا بالنسبة الى المسيحيين الآتين من اليهودية. وبهذا المعنى كتب القديس اغناطيوس الانطاكي يقول: "اذا كان الذين يعيشون في حالة الاشياء القديمة، قد أتوا الى رجاء جديد، وهم لا يحافظون على السبت، بل بالاحرى يعيشون وفق يوم الرب، وهو اليوم الذي قامت فيه حياتنا به وبموته... وهذا سر قبلنا الايمان به، وفيه نحن مستمرون لنكون التلامذة الحقيقيين للمسيح الذي هو معلمنا الوحيد، فكيف باستطاعتنا ان نعيش بدونه، بما ان الانبياء ايضا ينتظرونه انتظارهم لمعلم، لكونهم تلاميذه بالروح القدس". ويقول القديس اغوسطينوس: "لهذا وضع الرب ايضا خاتمه على يومه الذي هو الثالث بعد الآلام. انما في الدورة الاسبوعية، فهو الثامن بعد السابع، اي بعد السبت، والاول من الاسبوع". وراح الفرق بين الاحد والسبت اليهودي يتوطد شيئا فشيئا في الوعي الكنسي.

يوم الخليقة الجديدة

والمقارنة بين الاحد والسبت حملت على التعمق لاهوتيا في معناهما. فتوضحت العلاقة القائمة بين القيامة والخليقة، وقاد التفكير المسيحي الى الربط بين القيامة التي تمت في "اليوم الاول بعد السبت" وبين اليوم الاول من الاسبوع الكوني الذي، بحسب سفر التكوين، رتب عملية الخلق، فكان يوم اول خلق فيه الله الارض ثم النور. وهذه الرابطة تحمل على ان نفهم القيامة كبدء لخليقة جديدة، باكورتها المسيح المجيد، بما انه "بكر الخلائق كلها"، "وبكر من قام من بين الاموات".

فالاحد هو اليوم الذي يُدعى فيه المسيحي الى استذكار الخلاص الذي قدم اليه في المعمودية، والذي جعل منه رجلا جديدا في المسيح. "فأنتم عندما تعمدتم في المسيح، دفنتم معه وقمتم معه ايضا، لأنكم آمنتم بقدرة الله الذي أقامه من بين الاموات"، والطقوس تشدد على ما للأحد من طابع خاص بالمعمودية، فتدعو الى الاحتفال بمنح المعمودية، فضلا عن سبت النور، في هذا اليوم من ايام الاسبوع الذي تستذكر فيه الكنيسة قيامة الرب.

والاحد هو اليوم الاول، وايضا اليوم الثامن، من ايام الاسبوع، وهو بذلك يذكر ببدء الزمن وخاتمته في "الدهر الآتي". وقد شرح القديس باسيليوس ان يوم الاحد يمثل اليوم الاوحد الذي سيتبع الزمن الحالي، اليوم الذي لا نهاية له والذي لن يعرف صباحا ولا مساء، وهو الدهر الباقي الذي لا يمكنه ان يشيخ. ان الاحد هو الاعلان المستمر للحياة التي لا نهاية لها، والذي

ينعش رجاء المسيحيين ويشجعهم على السير في طريقهم". والاحد بما يحمل من رمزية يضع المسيحي امام الغاية التي هي الحياة الابدية.

يوم المسيح – النور

والحس المسيحي حمل على تسمية يوم الاحد يوم المسيح النور اشارة الى ان المسيح هو نور العالم، وتنصيرا "ليوم الشمس" بحسب التسمية الرومانية القديمة ليوم البطالة، وهي تسمية لا يزال لها أثر حتى اليوم في اللغة الانكليزية التي تسمي يوم الاحد يوم الشمس "سان داي". وقد فعلت الكنيسة ذلك لثني المسيحيين عن الانجراف وراء مغريات العبادات التي كانت تؤله الشمس، ولتوجيههم، لدى الاحتفال بهذا اليوم، الى المسيح "شمس البشرية" الحقيقية. وقد استعمل القديس يوستينوس لدى كتابته الى الوثنيين التسمية العادية ليبين ان المسيحيين تعودوا ان يجتمعوا في اليوم المدعو "يوم الشمس"، مشيرا الى ان هذا التعبير أخذ، بالنسبة الى المؤمنين، معنى انجيليا جديدا. ذلك ان الاحد هو اليوم الذي استنار بنور المسيح المنتصر على الموت. وقد اشار الى ذلك زكريا، عندما فكر بالمسيح، بقوله: "ان إلهنا رحيم رؤوف يتفقدنا مشرقا من العلى فيضيء للقاعدين في الظلام وفي ظلال الموت". وقد تبنت الكنيسة فرحة زكريا وسمعان الشيخ الذي أخذ الطفل الالهي بين يديه وحياه بقوله للرب: "اطلق عبدك بسلام، عيناي ابصرتا خلاصك الذي هيأته للشعوب، نورا لهداية الامم".

يوم هبة الروح القدس

ويمكن تسمية يوم الاحد ايضا "يوم النار"، اشارة الى الروح القدس. ونور المسيح مرتبط ارتباطا وثيقا "بنار" الروح القدس. والنار والنور صورتان تدلان على معنى الاحد المسيحي. وعشية يوم الفصح ظهر المسيح للرسل ونفخ عليهم قائلا: "اقبلوا الروح القدس. من غفرتم له خطاياه تغفر له. ومن منعتم عنه الغفران يمنع عنه". وحلول الروح القدس كان اكبر هبة، من المسيح القائم من الموت في احد الفصح، الى تلاميذه. وحل الروح القدس ايضا بقوة "كريح عاصفة" و"كنار"، يوم الاحد على الرسل ومريم العذراء، بعد مضي خمسين يوما على قيامته. والعنصرة هي سر يحيي الكنيسة باستمرار، ويرتبط بسر الفصح، في ما للاحد من معنى عميق. و"الفصح الاسبوعي"، اي الاحد هو نوعا ما العنصرة الاسبوعية التي يعيش فيها المسيحيون مجددا ما خبره الرسل من فرح لدى لقائهم المسيح القائم من الموت، باستسلامهم لنفحة الروح القدس المحيية.

يوم الايمان

يوم الاحد هو يوم الايمان، نظرا لما قيل فيه سابقا. في ذاك اليوم، جعل الروح القدس، وهو "ذاكرة" الكنيسة الحية، من اول ظهور للمسيح القائم من الموت، حدثا يتجدد كل يوم من ايام كل من الرسل. والمؤمنون الذين ينظرون اليه عندما يجتمعون يوم الاحد، يشعرون بما شعر به توما الرسول يوم قال له المسيح: "هات اصبعك الى هنا وانظر يدي، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تشك بعد الآن، بل آمن". وتلاوة قانون الايمان في اثناء القداس، وفي بعض الاحتفالات الطقسية، دليل على ان يوم الاحد هو يوم الايمان. ويشدد قانون الايمان على ما ليوم الاحد من طابع خاص بالمعمودية والفصح، بجعله منه اليوم الذي يجدد فيه المعمد، بطريقة خاصة، تمسكه بالمسيح وانجيله، ذاكرا مواعيد عماده. وبعد ان يتقبل هذا المعمد كلام الله، وجسد الرب، يتأمل في يسوع المسيح القائم من الموت والحاضر في "العلامات المكرسة" ويعترف مع الرسول توما قائلا: "ربي والهي".

يوم لا سبيل الى التنكر له

لذلك تجب المحافظة على هوية هذا اليوم، على الرغم من صعوبات هذا الزمن. وقد جاءت الممارسة العفوية، منذ اقدم العصور، لتكرسه يوما للرب خلال الفي سنة من عمر الكنيسة. ولا مجال الى التفكير بأنه لن يستمر في طبع مستقبل هذه

الكنيسة بطابعه. ولا شك في ان الكنيسة تشعر مع ابنائها في ما يلاقون من صعوبات للقيام بواجبهم الديني يوم الاحد، وهي تسعى جهدها للمساعدة على تأمين التثقيف الديني والواجب الراعوي لكل منهم ليستفيد من النعمة التي يحملها اليه الاحتفال بيوم الرب. وفي معرض الكلام عن تعارض الروزنامة الكنسية والمدنية ومحاولة التوفيق بينهما، اعلن المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني ان التغييرات التي لا تعارضها الكنيسة هي تلك التي "تحترم الاسبوع المؤلف من سبعة ايام مع الاحد وتحافظ عليه". وعلى عتبة الالفية الثالثة، يبقى الاحتفال بالاحد المسيحي، لما يتضمنه من معان، وما له من ابعاد بالنسبة الى قواعد الايمان، عنصرا لا بد منه للهوية المسيحية.

ثالثا: يوم الكنيسة

حضور القائم من الموت

لا تزال الكنيسة تستمع الى وعد المسيح بأنه سيكون مع تلاميذه "الى منتهى الدهر". وهي تجد في هذا الوعد سر حياتها ورجائها. واذا كان يوم الاحد هو يوم القيامة، فهو ليس فقط ذكرى حدث مضى، انه الاحتفال بحضور حي بيننا للقائم من الموت.

وللاعلان عن هذا الحضور وعيشه كما يليق، لا يكفي ان يصلي تلاميذ المسيح افراديا، ويستذكروا في اعماق قلوبهم موت المسيح وقيامته. والذين قبلوا نعمة العماد لم يخلصوا بصورة فردية، بل كأعضاء جسد المسيح السري، الذين هم جزء من شعب الله. لذلك انه من الاهمية بمكان ان يجتمعوا ليعربوا عن هوية الكنيسة، اي الجماعة التي دعاها الرب يسوع القائم من الموت، يسوع الذي بذل حياته "ليجمع في الوحدة شمل ابناء الله". فقد اصبحوا "واحدا" في المسيح، بهبة الروح القدس. وتتجلى هذه الوحدة عندما يجتمع المسيحيون، ويعون تمام الوعي انهم الشعب المفتدى المؤلف من "اناس من كل جنس ولغة وشعب وامة"، ويشهدون لذلك امام العالم. وجماعة تلاميذ المسيح الحالية هي امتداد في الزمن لصورة الجماعة المسيحية الاولى التي وصفها لوقا الانجيلي في كتاب اعمال الرسل وصفا مثاليا بقوله عن المعمدين الاولين انهم كانوا "يداومون على الاستماع الى تعليم الرسل وعلى الحياة المشتركة وكسر الخبز والصلاة".

الجماعة القربانية

تجد الحياة الكنسية ينبوعها في القربان. فالقربان هو الذي يغذي الكنيسة ويكونها. يقول بولس الرسول: "ونحن علي كثرتنا جسد واحد، لأن هناك خبزا واحدا، ونحن كلنا نشترك في هذا الخبز الواحد". ان سر الكنيسة، لما له من علاقة بسر جسد الرب ودمه، يعلن عنه ويتذوق ويعاش في القربان.

ويتحقق بعد القربان الكنسي كلما احتفل به. ويصير التعبير عنه خاصة يوم تدعى الجماعة المؤمنة لاستذكار قيامة الرب. ويعلّم تعليم الكنيسة الكاثوليكية ان "الاحتفال بقربان الرب يوم الاحد هو في صميم حياة الكنيسة".

وفي قداس يوم الاحد، يعيش المسيحيون مجددا الاختبار الذي عاشه الرسل المجتمعون عشية الفصح، عندما ظهر لهم المسيح القائم من القبر. وفي هذه المجموعة الصغيرة من التلاميذ التي تُعتبر باكورة الكنيسة، كان حاضراً نوعاً ما شعب الله، شعب كل الازمنة. وفي شهادتهم تتردد، على مسامع جميع اجيال المؤمنين، تحية المسيح المثقلة بهبة السلام التي اكتسبها بدمه، والتي اعطاناها في الوقت عينه الروح القدس، وهي "السلام لكم". وعوده اليهم "بعد ثمانية ايام" هو مثال لعادة الجماعة المسيحية في الاجتماع، "يوم الرب"، او يوم الاحد للاعتراف بالايمان بقيامته، ولقبول ثمار الوعد الذي اعلنه المسيح بقوله: "طوبى للذين آمنوا ولم يروا. وهذا الرباط القائم بين ظهور المسيح القائم من الموت والقربان ألمح اليه انجيل

لوقا في روايته لحادثة تلميذي عمّاوس اللذين انضمّ اليهما المسيح، وساعدهما على فهم الكلمة وآكلهما. ولدى "اخذه الخبز، ومباركته، وكسره، واعطائهما اياه، عرفاه".

والحركات التي قام بها يسوع في هذه الرواية، هي التي قام بها في العشاء الاخير مع الاشارة الواضحة الى "كسر الخبز"، وهي العبارة التي استعملتها اجيال المسيحيين الاولين للدلالة على القربان.

قداس الاحد

قداس الاحد لا يختلف عمّا سواه من القداسات، ولا ينفصل عن مجموعة الحياة الطقسية والاسرارية. وهو بطبيعته تجل للكنيسة، واهم فترة فيه هي تلك التي يجتمع فيها ابناء الابرشية ليصلوا مع راعيهم، على ما يقول دستور في الليتورجيا: "ان الكنيسة تتجلى اساساً في اشراك كل شعب الله المقدس اشتراكاً تاماً وفعّالاً في الشعائر الطقسية الواحدة، ولا سيما في القربان الواحد، وفي الصلاة الواحدة، لدى المذبح الواحد، حيث يترأس الاسقف محاطاً بكهنته وبالخدمام. والعلاقة بالاسقف وبالجماعة الكنسية كلها نجدها في كل احتفال بالقداس، اياً يكن اليوم من الاسبوع الذي يحتفل به. ويعبّر عن ذلك ذكر الاسقف في القداس.

وبعد فإن القداس، وواجب حضور المؤمنين، والطابع الاحتفالي الذي يتميز به، لانه يُحتفل به في اليوم الذي قام فيه المسيح من بين الاموات، واشركنا بحياته الخالدة، ان هذا كله يشير بوضوح الى بعده الكنسي، بما انه يبدو مثالاً لسائر الاحتفالات القربانية. وكل جماعة تجمع جميع اعضائها "لكسر الخبز" تعي انها مكان يتحقق فيه عملياً سرّ الكنيسة. وفي الاحتفال عينه، تنفتح الجماعة على الاشتراك مع الكنيسة الجامعة، فيما هي تدعو الآب لكي "يذكر كنيسته المنتشرة في العالم" وينميها في وحدة جميع المؤمنين مع البابا ورعاة مختلف الكنائس لكي تبلغ كمال المحبة.

يوم الكنيسة

يذكر دستور في الليتورجيا: "بوجوب العمل على ازدهار الوعي الجماعي في الرعية، ولا سيما في الاحتفال الجماعي بالقداس يوم الاحد. "ذلك انه ما من شيء اكثر حيوية للرعية، ومساهمة في تكوينها كالأحد، والاحتفال بيوم الرب، وبالقربان". ويجب التنسيق بين الاحتفالات التي تتم خارج كنيسة الرعية وتلك التي تتم في كنيسة الرعية. وذلك "للمحافظة على معنى الجماعة الكنسية الذي يغذيه ويعبر عنه الاحتفال المشترك بقداس الاحد، خصوصاً في الكاتدرائية وفي جماعة الرعية التي يقوم راعيها مقام الاسقف".

وجماعة الاحد هي مكان الوحدة المفضلّ، فهناك يحتفل بسر الوحدة الذي يميز الكنيسة، التي هي شعب مجتمع "في" وحدة الآب والابن والروح القدس و"بها". في هذه الوحدة، تعيش العائلات المسيحية حقيقة هويتها وخدمتها ككنائس منزلية، عندما يشارك الوالدون مع اولادهم في مائدة واحدة، مائدة الكلمة وخبز الحياة وعلى الوالدين ان يعلّموا ابناءهم الاشتراك في قداس الاحد، وذلك بمشاركة معلمي التعليم المسيحي الذي يجب ان يعنوا بإفهام معنى القداس الاولاد الموكول تثقيفهم اليهم، ويشرحوا لهم طابع الوصية الاجباري بسماعه.

ومن الطبيعي ان يحضر قداس الاحد المنظمات الكنسية في الرعية والاخويات. وهذا ما يفسح لها في المجال لتختبر ما هو مشترك في ما بينها، بقطع النظر عن الطرق الروحية الخاصة بها. لذلك يجب عدم تشجيع القداسات لجماعة خصوصاً يوم الاحد، وذلك محافظة على وحدة الرعية وحياتها. ولا يسمح بها الا لاسباب مهمة.

الشعب السائر الى الأبدية

من احد الى احد، تتقدم الكنيسة من اليوم الاخير، "يوم الرب"، الاحد الأبدي. وانتظار المسيح هو جزء لا يتجزأ من سر الكنيسة، ويعبّر عنه كل احتفال بالقداس. وهو يوم الرب الذي نستذكر فيه مجد المسيح القائم من الموت، وهو يذكّر ايضاً بيوم مجيئه الثاني المجيد. وهذا ما يجعل من الاحد اليوم الذي تظهر فيه الكنيسة انها عروسة المسيح، وتستبق نوعاً ما اليوم الاخير، يوم اورشليم السماوية. وهي فيما تجمع ابناءها في اثناء القداس، وتعلّمهم كيف ينتظرون مجيء العروس الإلهي، "تمرّنهم على الاشتهاء" الذي تتعرف بواسطته مسبقاً، الى فرح السماوات، الجديدة، عندما تنزل اورشليم الجديدة، المدينة الجديدة، من عند الله، كعروسة تزيّنت واستعدت للقاء عروسها.

يوم الرجاء

يوم الاحد هو ايضاً يوم الرجاء المسيحي. والمشاركة في "عشاء الرب" هي استباق لوليمة اليوم الاخير، وليمة "عرس الحمل". والمؤمنون لدى احتفالهم بذكرى المسيح الذي قام من الموت وصعد الى السماء، يلفون ذواتهم "في هذه الحياة التي نرجو فيها السعادة التي تعد بها، ومجيء يسوع المسيح ربنا". والرجاء المسيحي المعاش والمغتذي اسبوعياً بالقداس يصبح خميرة ونورا لكل رجاء بشري. ولذلك في الصلاة "الشاملة"، لا نذكر فقط حاجات المسيحيين، بل حاجات البشرية جمعاء. والكنيسة المجتمعة من اجل الاحتفال بالقربان تؤدي للعالم الشهادة التي تتبناها والتي تتضمن "افراح اناس زماننا، والفقراء، وخصوصاً جميع الذين يتألمون، وآمالهم، احزانهم وضيقاتهم". وهي اذ تكلل، بتقدمة قربان يوم الاحد، الشهادة التي يسعى ابناؤها الغارقون في العمل ومختلف هموم الحياة، الى تقدمتها في كل ايام الاسبوع بإعلان الانجيل وممارسة اعمال المحبة، تظهر بطريقة واضحة انها "نوعا ما السر"، أي العلامة والاداة للاتحاد الحميم بالله، ووحدة الجنس البشري".

مائدة الكلمة

في قداس الاحد، كما في كل قداس، يتم اللقاء مع المسيح القائم من الموت، بالمشاركة في المائدتين: مائدة الكلمة ومائدة خبز الحياة. الاولى تلقن تاريخ الخلاص، وبخاصة سر الفصح الذي أدخل المسيح فيه عينه التلاميذ: فهو الذي يتكلم لأنه حاضر في كلامه "لدى قراءة الكتب المقدسة في الكنيسة". والثانية يتم فيها حضور الرب القائم من الموت حضورا حقيقيا جوهريا، عن طريق ذكرى آلامه وقيامته، ويقدم خبز الحياة الذي هو عربون المجد الآتي. والمائدتان تؤلفان فعل عبادة واحد. وينصح الدستور في الليتورجيا بالرجوع الى الكتاب المقدس لاعداد مائدة غنية للمؤمنين وبعدم اهمال العظة، الا لأسباب خطيرة. ويجب اعداد العظة أحسن اعداد وسماع كلام الله بمبادرات ترمي الى التعمق في النصوص الكتابية، والتفكير بها مسبقا في بحر الاسبوع تفكيرا يشترك فيه الكهنة والخدام والمؤمنون، وذلك بروح الصلاة والامانة لشروحها الكنسية. والغاية من ذلك هي ان يعرب الاحتفال الطقسي، والصلاة، وسماع الكلمة، والتراتيل عن رسالة الاحد الطقسية.

ويجب ألا ننسى ان كلام الله في اطار القداس ليس هو موضوع تأمل بقدر ما يجب ان يكون موضوع حوار بين الله وشعبه، وهو حوار تعلن فيه روائع الخلاص، وتعرض مقتضيات العهد. وشعب الله يشعر بدوره بأنه مدعو الى الاجابة عن حوار المحبة هذا بالشكر والحمد، والعزم على الارتداد، وتجديد مواعيد العماد ضمنا لدى تلاوة قانون الايمان. وعندما ينقل الله الينا كلامه، ينتظر منا جوابا، هو الجواب الذي أعطاه المسيح عنا بقوله "أمين"، والذي يقره الروح القدس فينا بحيث ان ما نسمع يلزم حياتنا الزاما عميقا.

مائدة جسد المسيح

مائدة الكلمة تقود طبعا الى مائدة جسد الرب. ويبدو القربان يوم الاحد أكثر من بقية الايام، فعل شكر عظيم تتجه به الكنيسة، التي يسكنها الروح القدس، الى الآب بالاتحاد مع المسيح، وقد اصبحت صوت البشرية جمعاء. ويعود المؤمنون

بالذاكرة الى احداث الايام السابقة ليقرأوها في ضوء الله ويشكروا له عطاياه ويمجدوه "بالمسيح ومعه وفيه في وحدة الروح القدس". ويجدد المؤمنون ايمانهم بأن الله هو من خلق كل شيء بالمسيح، وبأن كل شيء قد تجدد به ليقدم لله الآب الذي هو مبدأ كل شيء وينبوع الحياة، وذلك بعد ان أتى المسيح في وضع خادم ليشاطرنا حالتنا البشرية ويفتديها. ويشعر أخيرا شعب الله بتوق الايمان والرجاء الى النهاية السعيدة عندما "يعيد المسيح الملك الى الله الآب... ليكون كلا في الكل".

وهذا الاتجاه "الصاعد" يجعل من كل قداس حدثا سعيدا، طافحا بعرفان الجميل والرجاء، وبخاصة قداس الاحد نظرا الى ارتباطه بذكرى القيامة. ومن جهة اخرى، ان الفرح القرباني، الذي يحملنا على "رفع قلوبنا"، هو ثمرة "الاتجاه الصاعد" الذي أتمه الله لنا والذي هو باق في طبيعة القربان – الذبيحة، وهو أسمى تعبير عن سر إخلاء الذات، اي الاتضاع الذي "تواضع المسيح معه حتى الموت، والموت على الصليب".

والقداس هو التمثيل الحي لذبيحة الصليب. ان المسيح يقدم ذاته الى الآب بالحركة عينها التي ضحى معها بذاته على الصليب، وذلك تحت أعراض الخبز والخمر اللذين دعي الروح القدس للحلول عليهما، فيما هو يعمل بفاعلية وحيدة في كلمات التقديس. "بهذه الذبيحة الالهية التي تتم في القداس، نجد المسيح عينه ضحية غير دموية، الذي قدم ذاته مرة واحدة بطريقة دموية على مذبح الصليب" والمسيح يضم ذبيحته الى ذبيحة الكنيسة. وفي القربان تصبح ذبيحة المسيح ذبيحة اعضاء جسده، تتحد حياة المؤمنين، ومديحهم، وآلامهم، وصلاتهم، وعملهم، بالمسيح وتقدمته التامة، وتكتسب هكذا قيمة جديدة". ومشاركة المؤمنين هذه تتجلى في قداس الاحد الذي يفسح لهم في المجال ليضعوا على المذبح الاسبوع الفائت مع كل الاثقال البشرية التي طبعته.

والمشاركة في عشاء المسيح الاخير هي الاشتراك مع المسيح الذي يقدم ذاته للآب ذبيحة من أجلنا. لذلك توصي الكنيسة المؤمنين بالمناولة عندما يشتركون في القداس، شرط ان تكون لديهم الاستعدادات المطلوبة، واذا كان يثقل ضميرهم خطايا ثقيلة ان يكونوا نالوا المغفرة من الله في سر الصالحة" والمناولة ترتبط بالعلاقة الاخوية مع القريب. وقداس الاحد هو حدث اخوي. وهذا ما يجب ان يبرزه الاحتفال بالقداس. وطريقة الاستقبال، ونبرة الصلاة الواعية لحاجات المؤمنين، وتبادل السلام يساعد على ذلك. ولا يقبل قربان دون مصالحة.

وعندما يترك المؤمنون الكنيسة، يجب ان يصبحوا ناشري انجيل وشهودا للمسيح، ويجعلوا من حياتهم اليومية ذبيحة روحية مرضية لله، ويشعروا بأنهم مدينون لاخوانهم بما تقبلوه في الاحتفال بالقداس، على مثال تلميذي عمّاوس اللذين ما ان عرفا المسيح لدى كسر الخبز، حتى شعروا بالحاجة الى مشاطرة اخوانهم فرح لقائهم الرب. لذلك يقول تعليم الرسل في يوم الرب، "اتركوا كل شيء، واركضوا الى جماعة المؤمنين، لأن ذلك هو مديحكم للرب. والا فأي عذر امام الله للذين لا يجتمعون يوم الرب ليستمعوا الى كلمة الحياة ويقتاتوا بطعام الحياة الباقي الى الأبدية". ووصية سماع القداس يوم الاحد واجب ينص عليه القانون الكنسي.

ونظرا الى النظام السائد في بعض البلدان الذي لا يسمح بالبطالة يوم الاحد، سمحت الكنيسة لهذا السبب او لغيره من الاسباب بايفاء وصية سماع القداس يوم السبت مثلا. كذلك القول عن المرضى والعجزة الذين لا يمكنهم ان يذهبوا الى الكنيسة، فان في امكانهم ان يتابعوا الاحتفال بالقداس بواسطة الراديو او التلفزيون، على ان يحمل اليهم الكاهن القربان بين الحين والحين. لكن هذه الطريقة لا تصح على الأصحاء الذين يجب ان يشاركوا اخوانهم المجتمعين في الكنيسة للاحتفال بالقداس والمناولة.

رابعا: يوم الانسان

فرح المسيح الكامل

جاء في كتاب القداس الماروني عن يوم الاحد: "هلم بسلام يا يوم العيد المجيد، يوم الاحد العظيم. بك تفرح وتبتهج الملائكة وبنو البشر". يوم الاحد هو يوم فرح. قال كتاب تعليم الرسل: "في اول يوم من الاسبوع، كونوا كلكم في جو فرح". وكانت الطقوس تترجم هذا الفرح الذي عبر عنه القديس اغوسطينوس بقوله: "لنترك الصوم، ولنصل واقفين اشارة الى القيامة، ولنرتل هللويا، من اجل ذلك، كل يوم احد".

ولا يمكن استقبال الاحد الا بالفرحة التي استقبل بها الرسل المعلم القائم من الموت. "وفرح التلاميذ عندما شاهدوا الرب". وقول الرب قبل الآلام تحقق بالنسبة اليهم والى كل الاجيال المسيحية، وهو: "ستحزنون ولكن حزنكم سيتحول فرحا وقد صلى من اجل ان يحصل تلاميذه على "ملء الفرح". وهذا الفرح هو ثمرة الروح القدس.

واذا كان الفرح هو ما يجب ان يميز كل ايام حياة المسيحي، فبأولى حجة يجب ان يتميز يوم الاحد بالفرح، لأنه يوم الرب القائم من الموت. وليس هذا الفرح شعورا غامضا، عابرا، بالرضى، يترك بعده في القلب مرارة. الفرح المسيحي هو ابقى واقوى على المحن، وهو "فضيلة" يجب ان تصان وتنمو. وما من تناقض بين فرح البشر الحق، والفرح المسيحي. فرح البشر له اساسه، وهو فرح المسيح المجيد. الاحد بما يشيعه من روح ايمان هو يوم اعطاه الله الانسان لينمو فيه بشريا وروحيا.

يوم الرب ويوم الانسان

ويوم الاحد هو يوم راحة، على ما يقول القديس امبروسيوس: "اشكر الرب الهنا، لأنه صنع صنيعا استطاع فيه ان يستريح. صنع السماء، ولكني لا اقرأ انه استراح. وصنع الارض، ولكني لا اقرأ انه استراح. وصنع الشمس والقمر والنجوم، وهنا ايضا لا اقرأ انه استراح. ولكني اقرأ انه صنع الانسان، واذ ذاك استراح لأنه وجد من في استطاعته ان يغفر له خطاياه". وهكذا يبقى يوم الرب مرتبطا بيوم الانسان. فالوصية بالراحة في يوم الرب تساعد الانسان على الاعتراف بتعلقه الحيوي المحرر بصانعه، وعلى المساهمة في عمله وتقبل نعمته. وعندما يلتزم الانسان يوم "الراحة"، يكتشف بأنه مطبوع بطابع بركة الله، وبأنه معها يصبح "خصيبا". وهذا الخصب ينمي فرح الانسان بالحياة وتوقه الى الترقي ومنح الحياة.

وقد جاء المسيح ليحقق "خروجا جديدا، ليس من ارض مصر، بل من الظلم والاستبداد. وفصح المسيح حرر الانسان من عبودية الخطيئة التي تبعده عن الله، وعن ذاته، وتزرع باستمرار في التاريخ بذار الخبث والعنف.

يوم الراحة

عاش المسيحيون الاول يوم الاحد يوم عبادة، اكثر منه يوم راحة. ولم تعترف الدولة الرومانية بالترتيب الاسبوعي الجديد، الا في القرن الرابع، بحيث ان يوم الشمس هو الذي كان ينقطع فيه "القضاة وسكان المدن والحرفيون عن العمل". وفرح المسيحيون بازالة الحواجز التي كانت تحول دون قيامهم في يوم الاحد بالفريضة الدينية. وانه لمن الخطأ الظن ان هذا التدبير التاريخي لم يكن له قيمة بالنسبة الى الكنيسة، وانه في امكانها ان تهمله. وقد حرصت المجامع الكنسية المنعقدة في اواخر سني الامبراطورية الرومانية على المحافظة على الترتيبات المتعلقة بالراحة يوم الاحد. وبالنسبة الى المسيحيين، من الطبيعي ان يكون يوم الاحد يوم راحة بما انه يوم فرح وعيد.

وبعد، ان الرابطة، في المجتمع المدني، بين يوم الرب ويوم الراحة، لها اهميتها ومعناها، بقطع النظر عن المفهوم المسيحي. والتناوب بين العمل والراحة المطبوع في الطبيعة البشرية، قد اراده الله، على ما تشير اليه رواية الخلق. والراحة امر "مقدس"، لأنه يفسح في المجال للانسان لكي يخرج من دوامة مشاغله وهمومه الارضية، ويعي ان كل شيء انما هو

عمل الله. والسلطة العجيبة التي منحها الله الانسان على الخلائق قد تنسيه ان الله هو الخالق الذي يعود اليه كل مخلوق. والاعتراف بذلك لا بد منه خاصة في عصرنا الذي تقدمت فيه العلوم التقنية التي زادت في السلطة التي يمارسها الانسان بعمله.

الحق في الراحة والعمل

ويجب الا يغيب عن البصيرة ان العمل في ايامنا شاق، بالنسبة الى الكثيرين، بالنظر الى ظروفه القاسية، او الى ساعات العمل، وخصوصا في البلدان الفقيرة، او الى الظلم واستغلال الانسان للانسان في المجتمعات ذات الاقتصاد المتطور. وعندما امرت الكنيسة بحفظ وصية البطالة يوم الاحد، عبر العصور، فكرت اولا في عمل العبيد والعمال، لا لأن هذا العمل لا يستوجب من الاحترام ما تستوجبه متطلبات يوم الاحد الروحية، بل لأنه كان في حاجة الى تنظيم يخفف وطأته، ويفسح في المجال للجميع لتقديس يوم الرب. ولهذا اعلن البابا لاوون الثالث عشر في رسالته الشهيرة "الشؤون الجديدة" "ان البطالة يوم الاحد هو حق للعامل تضمنه الدولة".

وفي عصرنا لا بد من بذل ما ينبغي من الجهد لينعم الجميع بالحرية، والراحة، الضرورية لكرامة الانسان وللقيام بالمقتضيات الدينية والعائلية والثقافية والاجتماعية، والتي يصعب القيام بها، ان لم يكن هناك يوم في الاسبوع يحفظ لهذا الامر، ويرتاح المرء فيه مع ذويه من عناء العمل في جو مريح. والحق في الراحة يفترض ان للانسان حقا في العمل. وانه لمؤسف حقا ان يكون هناك مواطنون لا يجدون عملا من حقهم على الدولة ان تؤمنه لهم وتحفظ معه كرامتهم.

وفي يوم الاحد، او يوم الراحة تتخذ المشاغل اليومية حجمها الصحيح، والشؤون المادية التي نسعى وراءها تتراجع بعض الشيء امام القيم الروحية، والاشخاص الذين نعيش معهم يستعيدون وجههم الطبيعي في لقاءات وحوارات تشيع الرضى في النفوس. وجمالات الطبيعة التي غالبا ما يشوهها الانسان باستغلاله اياها، تتكشف له وتدعوه الى احترامها. والاحد يصبح هكذا يوم سلام للانسان مع ربه ونفسه والناس، ويتيح له ان يلقي على الطبيعة نظرة تقدير واعجاب بما فيها من تناسق وانتظام، ويشعر بأن "من كل ما خلق الله، ما من شيء يجب رفضه، بل يجب قبول كل شيء بحمد، لان كلام الله والصلاة يقدسانه".

ومن واجب المسيحيين ان ينظموا وقتهم يوم الاحد بحيث يستطيعون ان يشتركوا في الذبيحة الالهية، وينقطعوا عن الاعمال الخدمية التي لا تأتلف ويوم الرب، وما ينشره من راحة للجسد والروح. والراحة يوم الاحد يجب الا تضيع في الفراغ، لذلك يمكن استعمالها للاغتناء الروحي، والتنعم بمزيد من الحرية، وامكان المشاركة الاخوية في ما لا يتنافى من انواع التسلية مع التعاليم الانجيلية.

يوم التضامن

من شأن يوم الاحد ان يحمل المؤمنين على القيام باعمال تضامن ورحمة ومحبة ورسالة. والمشاركة الداخلية في فرح المسيح القائم من الموت يجب ان تحمل المؤمن على المشاركة في المحبة التي تملأ قلبه. وما من فرح دون محبة. ويسوع عينه اشار الى ذلك بقوله:"اذا عملتم بوصاياي تثبتون في محبتي، كما عملت بوصايا ابي واثبت في محبته. قلت لكم هذا ليدوم فيكم فرحي، فيكون فرحكم كاملا. هذه هي وصيتي: احبوا بعضكم بعضا مثلما احببتكم". والقداس لا يحول دون قيام المؤمنين بواجبهم في مجال عمل الخير والاحسان، بل على العكس من ذلك، فانه يشجع على "ممارسة اعمال الرحمة لكي يثبت المسيحيون انهم، وان لم يكونوا من العالم، فهم نور العالم وانهم يمجدون الله امام الناس".

في قداس الاحد يكبر قلب المؤمن كبر قلب الكنيسة. وهذا ما تعوده المؤمنون منذ فجر الكنيسة، على ما اوصى به بولس الرسول بقوله: "ليحتفظ كل منكم في اول يوم من الاسبوع بما يمكنه توفيره من المال، فلا يكون جمع التبرعات يوم قدومي اليكم". ان بولس الرسول يدعو لا الى اعطاء حسنة وحسب، بل الى التمرس بثقافة المشاركة التي يجب ان نعيشها مع المؤمنين، لا بل مع اعضاء المجتمع بكامله. ويوبخ بولس الرسول الذين يخلطون مائدة الرب بالمائدة العادية ويعرضون اطايب المآكل ويتبجحون بها امام الذين ليس لهم ما يسدون به جوعهم. والقديس يعقوب يحذر من تعظيم الغني وامتهان الفقير.

ويؤنب القديس امبروسيوس الغني الذي يسمح القداس ولا يحسن الى الفقراء بقوله: "هل سمعت، ايها الغني، ما يقوله الرب، وتأتي الى الكنيسة لا لتعطي الفقير شيئا، بل لتأخذ منه"؟ والقديس يوحنا فم الذهب كان اشد بلاغة يوم قال: "هل تريد ان تكرم جسد المسيح؟ فلا تحتقره عندما يكون عريانا. لا تكرمه هنا في الكنيسة بثياب من حرير، لتحتقره بعدئذ خارجا، حيث يتألم من البرد والعري". والذي قال: "هذا هو جسدي" هو عينه الذي قال: "رأيتموني جائعا فلم تطعموني" و"كل ما تفعلون لاحد اخوتي الصغار، فلي قد فعلتموه... وما الفائدة اذا كانت مائدة المسيح ملأى بكؤوس الذهب، فيما هو يموت جوعا؟ ابدأ باعطاء الجائع ما يأكله، ومع ما يتبقى زين المائدة".

فالقربان هو دعوة الى عيش الاخوة. ومن قداس الاحد تنتشر موجة من المحبة الى المؤمنين. واذا كان الاحد يوم فرح، فعلى المسيحي ان يبرهن باعماله انه يستحيل على الانسان ان يسعد "وحده". واذا نظر حوله فقد يجد جيرانا له وبعضا في حلقة الاصدقاء من هم مرضى، وعجزة، واولادا مهملين، ومهجرين يشعرون خاصة يوم الاحد بوحدتهم، وفقرهم، وتعاستهم. ولماذا الاكتفاء بمدّ يد المساعدة لهم يوم الاحد فقط، دون الذهاب الى ابعد من ذلك، كدعوة عائلة الى تناول الطعام الى مائدتك، والقيام بزيارة مرضى، وتكريس ساعة لعمل خيري مجانا؟ فمن عاش القداس يوم الاحد هكذا، يكون قد دخل في مدرسة المحبة والعدالة والسلام. ووجود القائم من الموت بين اتباعه هو دعوة ملحة الى التضامن، والتجدد الباطني، وتحطيم بنى الخطيئة. ليس احد المسيحي هروبا، بل هو "نبوءة" مكتوبة في الزمن تجبر المؤمنين على السير على خطى من جاء "يبشّر المساكين، وينادي للأسرى بالحرية، وللعميان بعودة البصر اليهم، وتحرير المظلومين، واعلان السنة القبولة للرب".

الختام

ايها الاخوة والابناء الأعزاء،

الزمن في المسيحية له اهمية كبرى، ويوم الرب هو يوم جميع الايام. والمسيح الذي جاء الى العالم في ملء الزمن واتخذ جسدا من العذراء مريم، ومات وقام من بين الاموات، هو الالف والياء من الزمن. انه سيّد الزمن، وسنوه على الارض تشكل محور الزمن. والاحد، الفصح الاسبوعي، يحضر فيه المسيح القائم من الموت في القداس ليكشف لنا معنى الزمن. وهو يمثّل اليوم الاخير الذي سبق فأعلن عنه بقيامته.

واذا توقفنا امام الصعوبات التي نعانيها في هذه الايام، نرى انها تستعصي بشريا على الحلّ. ولكن ليس من امر عسير على الله. فهو حصننا وملجأنا في الضيقات والملمات. لذلك يجب ان نوطّد ايماننا به ونسأله بحرارة الايمان ان يتعهدنا بعنايته، وخصوصا ايام الآحاد والاعياد التي نستذكر فيها قيامته المجيدة، وحضوره معنا في الذبيحة الالهية، لنهتدي الى السبيل القويم الذي يوصلنا الى ما نصبو اليه من امان مشروعة، وفي مقدمها عودة بلدنا لبنان الى وضع طبيعي يشعر ابناؤه معه بما لهم من كرامة في ظل استقلال صحيح، لا وهمي، وسيادة فاعلة، لا اسمية، وقرار حرّ، غير مقيد. ولا شك في ان فقدان

هذه القيم المهمة لكل وطن هي التي اوقعت لبنان في ما يتخبط فيه من ازمات متلاحقة، اثقلها وطأة عليه انتفاء ثقة ابنائه به، ورحيلهم المتواصل عنه، والضائقة الاقتصادية في غياب الوفاق الوطني، وضيق سبل العيش على معظم اللبنانيين.

وانا اذ نستحثكم على الافادة من يوم الاحد بايفاء الوصية بتقديسه ليكون بالنسبة الى كل منكم، كما هو بحسب معناه الصحيح، يوم الرب، ويوم المسيح، ويوم الكنيسة، ويوم الانسان، نسأل الله، بشفاعة امه البتول، سيّدة لبنان، التي سهرت دائما على هذا الوطن، وابنائه، ان يكون هذا الصوم المبارك عندكم زمن توبة، وصلاة، واعمال رحمة، ومصالحة وطنية صادقة.

وعلى رجاء أن يكون هذا الصيام المبارك، بعد سنة اليوبيل الكبير، الزمن المقبول بما نقوم فيه من عمل مبرور نقترب به من الله والناس، نستمطر عليكم جميعا، مقيمين ومغتربين، اغزر النعم والبركات، وعربونا لذلك نمنحكم من صميم القلب بركتنا الرسولية".

*ارفقت الرسالة، وهي السادسة عشرة له في المناسبة، بتفسيحات من الصوم والقطاعة. واتت كلها في كتيب من ٣٧ صفحة من الحجم الوسط.